فنّانون يبدّلون المواقف وآخرون يثبتون أمام التيار المحافظ المتنامي

□ امستردام/ عدنان أبو زيد

٢٠١١.. سجال محتدم بين الفنّ والسلفية

مع تعاظم نفوذ المد السلفي في بعض الدول العربية، وتطلع القوى المحافظة لتسلم زمام الحكم في بلدان أخرى، يستوقف كثيرين، ذلك النزاع المحموم والجدال حامي الوطيس بين رموز تلك القوى، وحاملو لواء الفن لاسيما فنون التمثيل والرقص والغناء، حيث تحولت وسائل الإعلام إلى ساحة نزاع مكشوف بين طرف يتملكه حنين استعادي لتطبيق رؤية إسلامية معينة في محاولة لترسيخ الرجوع إلى ماض يعتقده الإسلاميون مثاليا في تفاصيله الأخلاقية ومن حقهم بعثه من جديد. أما الطرف الآخر فهم فنانون وانفتاحيون باتوا في موقف الدفاع، محاولين القفز أمام الأحداث بغية المحافظة على مساحة حرية عاشوها طوال سنوات في ظل أنظمة كانت غالبا ما تعادي النفوذ الاسلاموية السلفي، لكن المثير أن هؤلاء الفنانين، أثروا عدم الاشتباك، محاولين في بعض الأحيان محاباة التيار الجديد المعروف بتطرف أفكاره وحدة انفعالاته وعنف ردود أفعاله، ويتوقع مراقبون أن يشهد العام ٢٠١٢ تقديم الفن الكثير من الضحايا والتنازلات بسبب تغير الموقف السياسي، أما العام ٢٠١١ فقد شهد بداية الجدال واتخاذ مواقف واصطفافات سياسية وعقائدية، يسردها هذا التقرير.

عادل إمام ينحني أمام العاصفة في ٢٠١١

ومن الفنانين الذين غالبا ما كانت لهم مواقف مناهضة للتيارات السلفية في أعماله الفنية وتصريحاته، عادل إمام حتى هُدّد بالقتل من جراء ذلك، لكنه اليوم ينحني للعاصفة حين صرح في أواخر هذا العام بضرورة إعطاء الفرصة للإسلاميين للحكم طالما إنهم فائزون في صناديق الاقتراع. وقد عد كثيرون رأي الفنان إمام الجديد بمثابة انقلاب في أفكاره التي طالما صرح بها. و كانت المواجهة بين الفنان إمام والسلفيين بلغت أوجها حين أعلن أكثر من مرة بمعارضته إسقاط الرئيس المصري السابق حسني مبارك، وحين حمّل الفنان إمام حركة حماس مسؤولية العدوان على غزة، لتطالب فتوى أصدرها أبو مصعب عبدالودود، احد زعماء تنظيم القاعدة بإهدار دم إمام.

المظهر السلفي على الفن

وفي مصر وتونس واليمن، هناك دعوات صريحة للفنانين في العام ٢٠١١، إلى إطلاق اللحى، وللفنانات إلى ارتداء الحجاب، في محاولة لإضفاء المظهر السلفي المحافظ على الفن، لكن الكثير من المفكرين حتى بين الإسلاميين من يرى أن من الضرورة التي فرضت اختيار مظهر معين في الماضي تختلف عن ضرورة الالتزام الحالي به. وينطبق ذلك على سبيل المثال لا الحصر على الفنانة عبير صبري التي دُعِيت إلى الحشمة بملابسها بعدما نشرت لها صورة بمواقف جريئة اعتبرها الإسلاميون خدشا للحياء.

وبلغ استياء بعض الفنانين للدعوات السلفية إلى حد أن السيناريست المصري عمرو سمير عاطف أكد شراءه لمسدس يهدد به أفراد من وصفهم بـ(هيئة الأمر بالمعروف) في مصر، حيث قال لوسائل الإعلام : من يسألني عن زوجتي من رجال الدين، أو يحثني على الفضيلة سأقتله.

قتل عارية الساقين

وبعدما ظهرت الفنانة المغربية لطيفة أحرار عارية الساقين في مهرجان مراكش العام ٢٠١١، نُشرت على موقع فيس بوك دعوات أطلقها راديكاليون لقتل لطيفة بعد أزمة "قفطانها عاري الساقين" في مهرجان مراكش.، وبلغت جدية الأمر إلى الحد الذي استدعى عبد الإله بن كيران رئيس الحكومة المعين والأمين العام لحزب العدالة والتنمية الإسلامي إلى الاتصال بها مستنكرا التهديدات التي تلقتها. وكانت الفنانة المغربية قد دافعت عن ظهورها بسيقان عارية، بأنها تساير الموضة والأناقة التي تلائم المرأة.

وتركز اغلب الدعوات السلفية في العالم العربي والإسلامي وحتى بين المتطرفين في إسرائيل على الأجندة (الاستعادية) للماضي من ناحية المظهر والسلوك، من دون الأخذ بنظر الاعتبار متغيرات العصر الذي يفرض قيما وأساليب حياتية جديدة.

٢٠١١ يهرول إلى الماضي

ويفسر الكاتب الهولندي أريل فان كوك في مقال له نشرته جريدة "تروم بتير" العام ٢٠١١، ما يحدث من الهرولة إلى الماضي حتى بين اليمين الأوروبي إلى أن تضخم المدن الكوزموبولتانية المكتظة بملايين البشر مقابل غياب العدالة الاجتماعية والأزمات الاقتصادية، يصد الناس عن العولمة التي وحدت مظهر وسلوك الناس بطريقة سطحية وبلا توافق عادل حقيقي، مما جعل الناس تهرب إلى ماض لم يكن في كل الأحوال أحسن من الحاضر لمن يقرأ التاريخ بإمعان.

ولهذا لن يكون مستغربا أن تهرب فنانة مثل إيمان شاكر نجمة "العار" من الواقع الذي تعيشه معتزلة الفن متمنيةً من الله أن يُثبتها على هذا القرار مؤكدة أنه قرار نهائيٌ ،مشيرةً إلى أن الفن لا يليق بالمرأة المسلمة، وإنها اكتشفت أن معظم الفنانات تنتهي حياتهن بالندم وعدم تكوين أسرة، أو بالانتحار.وتماشيا مع الجو السلفي العام الذي يسود المنطقة تتمنى المطربة المصرية المحجبة شاهيناز ألا يكتب الله عليها خلع الحجاب. كما تدعو الفنانات المحجبات اللاتي تخلين عن حجابهن إلى العودة إليه.

ويرى بعض الإسلامويين الذين ينشطون اليوم عبر وسائل الإعلام في مصر وتونس وليبيا، أن المظهر الخارجي يمثل أسلوبا حاسما يحدد الانتماء العقائدي للشخص، بل هو بمثابة التعبير عن هويته المسلمة، مفرزا إياه عن غيره.

ومثل هذه التصريحات جعلت بعض الفنانين مثل كريم عبد العزيز يصرح بأنه ليس خائفا من وصول الإسلاميين إلى حكم مصر، لاسيما ان هناك من ارجع مرضه الأخير إلى عقاب إلهي له، لعمله في الفن.

العريّ والابتذال

وينطبق ذات الأمر على الفنانة المصرية وفاء عامر التي عبرت عن قلقها من السلفيين في مصر، بعدما أعلنت عن رفضها لخطوط حمراء على بعض المشاهد مثل العري والابتذال. لكن عادت تحت ضغوط الدعوات إلى المحافظة إلى اختيار ملابس (محترمة)، بحسب تعبيرها، لتؤدي بها مشاهد الرقص في مسلسل جديد.

الجدير بالذكر أن كبار دعاة السلفية بينهم عبد العزيز بن باز أفتى بأن "الأغاني ضارة، في لمسمّى الفن، بصرف النظر عن طبيعته وأشكاله وهو غالبا ما يرتبط في الإدراك السلفي العام بالابتذال والإباحية والانحلال الأخلاقي، ولكن هذا المبدأ يلاقي التحدي من الخصوم والمخالفين لهذا الرأي، فتراهم يبتكرون الكثير من الأفكار التي يعبرون فيها عن رفضهم، مثال ذلك ما فعلته الفنانة نادية بوستة حين ظهرت بصورة عارية الصدر في إحدى المجلات في العام ٢٠١١ بالتزامن مع

جدل متصاعد فجرته المدونة المصرية علياء المهدي التي نشرت صورها عارية تمامًا على مدونتها، في إطار ما اعتبرته دعوة النساء العربيات للثورة الجنسية. وقد اتهمت بوستة بأنها تسعى من وراء ذلك إلى إحراج حزب النهضة الإسلامي.

الحقيقة غائبة

ولعل أكثر العلاقات لغطا تلك التي بين مخرجة أفلام الإثارة إيناس الدغيدي والسلفيين والمحافظين، فقد هددت الدغيدي بترك مصر إذا وصل الإخوان والسلفيون إلى الحكم، لكنها أبدت استعدادها لمحاورة الجماعات الإسلامية، رغم أنها تعلم آراءهم مسبقا في الفن الذي يحرمونه.

و تخشى الدغيدي من وصول الإخوان المسلمين أو السلفيين إلى سدة الحكم في مصر. وأكدت أن "الإخوان سبق لهم وطالبوا بإقامة الحد عليّ، وأهدروا دمي بسبب أفكاري المتحررة".

ويبدو أن الحقيقة غائبة عن بعض السلفيين والفنانين على حد سواء، فالدكتور الباحث لخضر العرابي يرى أن هناك انسجاما بين رسالتي الفن و الدين في الدعوة إلى الجمال والاستعلاء على الدناءات والرذائل، وإلى الاعتدال في كل شيء والاستقامة في القول والسلوك. لكن ما تعرضت له الفنانة هالة صدقي يناقض ذلك كله، فقد تلقت تهديدات بالقتل على موقع "فيس بوك" من جزائريين وصفتهم بالمتشددين، إذا وطئت قدماها الجزائر على خلفية مشاركتها في فعاليات الدورة الخامسة من مهرجان "وهران" للفيلم العربي.

ولا تنحصر العلاقة المتوترة بين السلفية والدين في مجال السينما والغناء فحسب، بل تعدتها إلى أنواع الإبداع الأخرى. فقد سحب ترخيص مجلة «إبداع»،العام ٢٠٠٩ في مصر لأنها نشرت قصيدة فيها إساءة للذات الإلهية.

ومن المواقف التي هلّل لها سلفيو مصر، اتخاذ الفنانة حلا شيحا قرار ارتداء الحجاب بعد ارتدائها النقاب.

مواقف مختلفة

وبينما فضل فنانون الانتظار من دون إبداء رأي في المتغيرات السياسية والاجتماعية المفصلية في تاريخ البلدان التي حدثت فيها، فان فنانين آثروا الانضمام إلى الموجة السلفية المحافظة بينما وقف البعض الآخر على الضد منها محذرا من وصولها إلى سدة الحكم.

فقد تحدّت الفنانة الاستعراضية دينا، الأجواء السلفية ودعوات المحافظة، عبر إقامة ثلاث حفلات رقص خلال الاحتفال برأس السنة الجديدة، رافضةً وقف هذه الحفلات بعد صعود الإسلاميين الكبير في الانتخابات التشريعية.

ومن وجهة نظر الباحث المصري المقيم في أمستردام خالد قادر فان اغلب الجماعات الاسلاموية السلفية، لا تحرم الفن لكنها تشترط عليه أن يعكس تصوراتها وعقائدها، وهي تحاول عبر ذلك الترويج لنفسها وكسب الأتباع، ويرى أن رموز العمل الفني تعكس سمات العصر الذي ينتمي إليه، وليس الماضي، لكنها تستمد مصادره منه. ويتابع : ثمة وعي ديني (وليس الدين) يتخذ موقفا ملتبسا من الفن، توجهه دوافع سياسية معينة.

فقهاء فيس بوك

وفي العام ٢٠١١ شنّت النجمة التونسية هند صبري هجوما عنيفا على من أسمتهم بـ"فقهاء فيس بوك"، عقب حملة اتهمتها بـ"الجهل" لاعتراضها على قيام جماعة سلفية باحتجاز عميد كلية الآداب بضاحية "باردو" بتونس للمطالبة بالسماح بالنقاب والفصل بين الذكور والإناث. وقال إنها "مسلمة ونص، وأدافع عن مفهومي الديني". أما الفنانة المصرية كوكي - شقيقة روبي- فقد رضخت لضغوط الأجواء السائدة وقررت أعطاء صوتها في الانتخابات البرلمانية إلى حزب إسلامي ذي طابع وسطي.

وامتاز رد فعل منى زكي من دعوات " الأسلمة " في العام ٢٠١١ بالتحدي، وقررت عدم مغادرة مصر حال وصول التيارات الإسلامية للحكم، مشددة في الوقت نفسه أنها لن تخشى على الفن من هذه التيارات. أما الفنان أحمد السقا فيؤكد أن الإسلامويين ليسوا وحوشا، وأن الخوف من تفوقهم في الانتخابات البرلمانية ووصولهم إلى الحكم مبالغ فيه للغاية، وغير مبرر.

وفي ذات الوقت ترفض فيفي عبده ارتداء الحجاب إلا بإرادة نابعة من داخلها، مشيرةً إلى أنها ترفض إجبارها على ذلك حال وصول جماعة الإخوان المسلمين للحكم في مصر. غيران صفوت حجازي، الداعية الإسلامي المصري، لا يرى أن هناك دعوات تطالب بهجرة الفنانين المعترضين على وصول التيارات الإسلامية إلى الحكم، لكنه أكد في الوقت نفسه أنه "لن يكون على أرض مصر إلا ما يرضي الله".